التمهيد

أولًا : تحديد المراد بالعلماء :

إنّ الإسلام رفع شأن العلم والعلماء ، وحثّ على طلب العلم ، وجعل العلماء فى الأرض كمثل النجوم يُهدَى بها فى ظلمات البرِّ والبحر ، ولقد أكدّ ذلك المعنى آى الذِّكر الحكيم ، والأحاديث النبويّة المُشرفة ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر : ٩] ، وقوله تعالى : ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة : ١١] ، وقوله تعالى : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [البقرة : ١١٤] ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر : ٢٨] ، وقوله ﷺ : « مَنْ يُرِد الله بِه خيْرًا يُفقِّهه فى الدِّين »(*) ، وقوله ﷺ : « إنَّ العلماء ورثة الأنبياء(**) »(١) .

ولذلك أقبل المسلمون على العلم ينهلون من كافة ينابيعه المختلفة ما بين فقه ، وحديث ، وتفسير ، وتاريخ ، ولغة ، وغير ذلك ، ولكن رغم إحاطة هذا المُتعلِم أو ذاك بجميع معارف عصره المتنوعة إلا أنَّ الواحد منهم كان يفضل علمًا معينًا ، فنجد مُتعلِم غلب عليه الأدب فعُرِف بالأديب ، وآخر غلب عليه الطب فعُرف بالطبيب ، أمّا المُتعلِم الذى تخصص فى

(*) روى ذلك الحديث الترمذى « ت ٢٩٧هـ » فى « السنن » ، وقال « حسن صحيح » ، انظر : الترمذى « محمد بن عيسى ت ٢٩٧هـ » « سنن الترمذى » ح ٥ ص ٢٨ ، تحقيق إبراهيم عطوة ، مكتبة البابى الحلبى ، ط ٢ (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) .

(**) هذا جزء من حديث ، رواه الترمذى ، وصححه ابن حبان « ت ٣٥٤هـ » ، والألبانى ، انظر : الترمذى « سنن الترمذى » ح ٥ ص ٤٨ ، ابن بلبان « علاء الدين على ت ٧٣٩هـ » « الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان » ح ١ ص ٢٨٩ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ، ومحمد ناصر الدين الألبانى « صحيح الجامع الصغير وزيادته » ح ٢ ص ١٠٧٩ ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، ط ٢ (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) .

(١) ابن حجر العسقلانى « شهاب الدين أحمد ت ٨٥٢هـ » « ضياء الأنوار فى فضل العلم والعلماء الأخيار » ص ١٣ ، ١٤ ، مخطوطة بمعهد المخطوطات برقم (١١٦ سياسة واجتماع ، العلموى « عبد الباسط موسى ت ٩٨١هـ » « المعيد فى أدب المفيد والمستفيد » ص ٤ ، ٥ .

دراسة العلوم الدينية من « فقه ، وتفسير ، وحديث ... إلخ » ، فقد أُطلِق عليه لقب عالم أو فقيه[*][1] .

ولقد حدد الإسلام شرطًا رئيسيًا للعالِم أو الفقيه حتى يستأهل هذا اللقب ، وهو الالتزام الروحى والوجدانى بما يدعو إليه هذا العلم ، من حيث ضرورة العمل به وترجمته على النحو الذى يجعله مثمرًا ومؤثرًا فى المجتمع الإسلامى كما أراد الشارع عزّ وجلّ[2] .

أى أن العالم[**] المقصود فى هذه الدراسة هو من اتصف بأمرين متلازمين :

الأمر الأول : أن يكون متخصصًا فى دراسة الشريعة الإسلامية ، وحائزًا على مستوى

(*) المعنى اللغوى للفقيه والعالم واحد ، انظر : ابن منظور « لسان العرب » ح ١٢ ص ٤١٦، ح ١٣ ص ٥٢٢، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م .

(١) محمود رزق سليم « عصر سلاطين المماليك » ح ٣ ص ٣١، مكتبة الآداب ، القاهرة ١٩٦٥م ، د. طه ثلجى « مملكة صفد فى عهد المماليك » ص ٢٦٧، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٢م ، محمد على « الدور السياسى والاجتماعى للعلماء فى الأندلس عهد المرابطين والموحدين » ص ٦، ماجستير ، دار العلوم ، ١٩٩٩م ، عزت قاسم « فقهاء المالكية وأثرهم فى المجتمع الأندلسى » ص ١٧٢، دكتوراة آداب عين شمس ، ١٩٩٣م ، د. يسرى زيدان « الفقهاء والعامة فى مصر والشام فى القرنين السادس والسابع الهجريين » ص ٢١، دكتوراة ، دار علوم ، القاهرة ، ١٩٩٦م ، أحمد ذكى بن حاج « العلماء فى الدولة الإسلامية بالأندلس وأثرهم فى السياسة والحضارة عصر الإمارة » ص ٤٩، ماجستير ، دار علوم ، ١٩٨٥م .

(٢) ابن حجر العسقلانى « ضياء الأنوار » ص ٢٩، ٤١، ابن جماعة « بدر الدين إبراهيم ت ٧٣٣هـ » « تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم » ص ١٦، دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ـ الدكن ، ١٣٥٣هـ ، العلموى « المعيد فى أدب المفيد » ص ١٣، هناء عبد الرحمن « الوظيفة السياسية للعلماء فى الخبرة الإسلامية » ص ٢٧، ماجستير ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٩٩م .

(**) آثر الباحث استخدام لقب العلماء لندرة استعمال لقب « فقيه » فى العصر المملوكى ، انظر : حسن الباشا « تاريخ الألقاب والمراسم فى الإسلام » ص ٣٧٣، دكتوراة ، آداب القاهرة ، ١٩٥٢م .

من المعرفة والعلم يؤهله للاجتهاد[١] والتمكن من استنباط الأحكام من أدلتها الشرعية[٢].

الأمر الثانى : أن يكون ملتزمًا بما يدعوا إليه هذا العلم ، وهذا معناه أن يكون صادقًا ، عادلًا ، لا يعرف الهوى[٣].

وهذان الأمران هما اللذان يحددان دور العالم فى المجتمع الإسلامى .

ثانيًا : المراد بالدور الاجتماعى للعلماء :

إن مفهوم الدور ـ من حيث دلالاته فى اللغة والعرف ـ هو جهد لا يتم بشكل عفوى ويتمركز حول أداء وظيفة ، كما أنه يرتبط بمكانة الشخص الذى يقوم بهذه الوظيفة[٤].

أى أن الحديث عن دور العلماء هو حديث عن وظيفتهم ، فما هى وظيفة العلماء؟

إن جوهر وظيفة العلماء هى وظيفة كفاحية لا تعرف الالتواء أو التحريف ، فهم يرتبطون

---

(١) **الاجتهاد** : هو استفراغ الفقيه الوسع لتحصيل حكم شرعى ، ومعنى استفراغ الوسع بذل تمام الطاقة بحيث يحس الفقيه من نفسه العجز عن المزيد عليه ، انظر : ابن أرسلان « شهاب الدين أحمد ت ٨٤٤هـ » « لمع اللوامع فى توضيح جمع الجوامع » ص ١٠٢، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم (٢١٧٤١) ، د. رفيق العجم « موسوعة مصطلحات علم أصول الفقه » ص ١٠، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ١٩٩٨م .

(٢) د. فوزى على « دور أهل الحل والعقد فى النموذج الإسلامى لنظام الحكم » ص ٢١٤، ماجستير ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٩٥م .

(٣) حيث عرف تاريخنا الإسلامى أولئك الذين تفقهوا فى العلوم الدينية لأغراض دنيوية من مال وجاه ، واتسمت علاقة هؤلاء مع السلطة الحاكمة بالمداهنة والنفاق ، انظر : تقى الدين الحصنى « أبو بكر بن محمد ت ٨٢٩هـ » « قمع النفوس » ص ٤، مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (٣٤٩٨٤) ، ابن علوان « نسمات الأسحار فى مناقب الأولياء والأخيار » ص ١٥١، مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق برقم (٨٤٦٠) ، الآجرى « محمد بن الحسين ت ٣٦٠هـ » « أخلاق العلماء ص ٤٣، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٩٦م ، صالح سعيد « التجديد فى الفكر السياسى لابن تيمية » ص ٢٦٨، ماجستير ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٩٧م .

(٤) د. إبراهيم مدكور « معجم العلوم الاجتماعية » ص ٢٦٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥م ، د. السيد محمد « الدور السياسى للصفوة فى صدر الإسلام » ص ٤٤، دكتوراة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٩١.

obeikandl.com

بالشريعة وحفظها ، فهم حملتها الذين يحفظون شعارها ، والسراج المنير الذى يهدى الأمة إلى السبيل ، وذلك بعد انقطاع نور النبوة بوفاة الرسول ﷺ[١] .

فالعلماء فى توجههم للسلطة الحاكمة يقومون بوظيفة النصح والتقويم والمحاسبة والرقابة على سياستها ومدى مطابقتها للشرع[٢] .

بينما فى توجههم للرعية يقومون بتعليمها أمور الدين وأحكامه بالقدر الذى يأمر به الإسلام وتحتاجه الرعية ، وتزداد أهمية تلك الوظيفة كلما فشا الجهل فى الرعية ، وانزوت معالم الشريعة وظهرت البدع[٣] .

وهم كذلك يتولّون الولايات العامة بحقوق الله وتحرى مقاصد الشرع دون أدنى تزلف للسلطة أو ترضية لها ، من حيث خضوع العالِم لشرع الله[٤] .

وإجمالًا يمكن القول إنَّ دور « وظيفة » العلماء فى المجتمع الإسلامى هو فى جوهره حمل الرسالة التى بعث الله بها نبيّه سيدنا محمد ﷺ ، ولما كان الإسلام يعنى الاعتقادات والعبادات والمعاملات شخصية كانت أو جماعية ، سياسية أو اقتصادية ... إلخ ، كما أنه هو الذى ينظم العلاقة بين عناصر المجتمع الإسلامى ، ومصدر الولاء والانتماء ووحدة

---

(١) د. سيف الدين عبد الفتاح : « التجديد السياسى والخبرة الإسلامية » ص ٢٠٣، دكتوراة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٨٧م ، د. محمد فتحى « أهل الاجتهاد حراس الشرعية فى الدولة الإسلامية » ص ٣٠، مقال بمجلة العربى ، عدد أغسطس ، ١٩٨٠م .

(٢) الزين أبو الروح « عبد الرحمن بن أبى بكر ت ٨٥٦هـ » « الكنز الأكبر فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » ص ٧١، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم (٤٦٧٢٦) ، ابن جماعة « تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم » ص ٢٠، الغزالى « أبو حامد محمد ت ٥٠٥هـ » « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » مستخرج من كتاب « الإحياء » ص ٨٦، تحقيق سيد إبراهيم ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٩١م ، الشيخ محمد أبو زهرة « مالك حياته وعصره » ص ٦٢، دار الفكر العربى ، د. ت .

(٣) ابن جماعة « تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم » ص ٢٠، الآجرى « أخلاق العلماء » ص ٣٦.

(٤) الأسدى « محمد بن محمد » « من رجال القرن التاسع الهجرى » « التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار » ص ٩٨، تحقيق د. عبد القادر أحمد ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٨م .

المجتمع وتماسكه، وكذلك الضابط الاجتماعى لذلك المجتمع الذى به ينتظم سلوك المجتمع المسلم وتصرفاته الاجتماعية إزاء مواقف الحياة المختلفة، فضلًا عن أنه الوازع الذى يدفع عناصر المجتمع الإسلامى بعضها عن بعض[1].

والإسلام بهذا المعنى ذو دور «وظيفة» اجتماعى، بمعنى دور إصلاح النظام الاجتماعى للجماعة المسلمة فى كافة جوانبها، ومن ثمّ فإن دور «، وظيفة» العلماء ـ حملة هذا الإسلام ـ هو دور اجتماعى.

(١) الإمام محمد الطاهر بن عاشور «أصول النظام الاجتماعى فى الإسلام» ص ١١، ٣٩، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، د. سامية الخشاب «علم الاجتماع الإسلامى» ص ٣٧، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م، الشيخ محمود شلتوت «القرآن وبناء المجتمع» ص ٦٨، كتاب دار الهلال، أغسطس ١٩٨٠م، عبد الله المحمد «الدين وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعى» ص ٣، ماجستير، آداب القاهرة «قسم اجتماع»، ١٩٧٠م، د. سيف الدين عبد الفتاح «التجديد السياسى والخبرة الإسلامية» ص ٤٦٢، د. خورشيد أحمد «نموذج المودودى فى البعث الإسلامى» ص ٩، مقال بمجلة المسلم المعاصر، عدد (٣١)، ١٩٨٢م.

obeikandl.com